بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ١ -

ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أَبُو سَبْرَة بن أُبِي رُهْم

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كانَ صَحَابَةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُرِيدُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إلاَّ بِمِقْدَارِ ما يُبَلِّغُهُمُ ٱلآخِرَةَ، لِذا لَمْ يَرْغَبُوا فِيها، فَكُتِبَتْ لَهُمُ ٱلسَّعَادَةُ، وَلَمْ يَتَظَاهَرُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَخَلَّدَهَا لَهُمُ ٱلتَّارِيخُ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ بَقَاءِ ذِكْرِهِمْ، فَحَفِظَهُ لَهُمُ ٱلْخَلَفُ، وَلَئِنْ كَانَ ٱلتَّارِيخُ قَدِ ٱسْتَجَابَ لِطَلَبِ بَعْضِهِمْ فَأَسْكَنَهُمْ فِي زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ ٱلأَنْظَارِ، وَسَلَّطَ ٱلأَضْوَاءَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، أَوْ أَنَّ بَعْضَ ٱلأَعْمَالِ ٱلْكَبِيرَةِ مِنْ خِلاَفَةٍ وَقِيَادَةٍ عَامَّةٍ قَدْ كَشَفَتِ ٱلنِّقَابَ عَنْ أَصْحَابِهَا، فَظَهَرُوا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِمْ قِمَّةً شَامِخَةً، عَاشَ صَحَابَةٌ آخَرُونَ فِي ظِلِّهَا وَإِنْ كَانَ ٱرْتِفَاعُهُمْ لاَ يَقِلُّ عَنْهَا، وَمِنْ هٰؤُلاَءِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

مِنْ عَادَاتِ ٱلْعَرَبِ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ أَنْ يَخْتَارَ ٱلرَّجُلُ لِبَنِيهِ

بَنَاتِ أَفْضَلِ ٱلأُسَرِ وَأَعْرَقِهَا، لَمْ يَكُنْ ذَاكَ فَقَطْ لإِنْجَابِ ٱلْوَلَدِ ٱلَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنَ ٱلسِّيَادَةِ، وَيُؤَهِّلُهُ ذَكَاؤُهُ ٱلْوِرَاثِيُّ لِلْقِيَادَةِ حَيْثُ تَشِيعُ ٱلْحِكْمَةُ «كَادَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَنْ تَلِدَ أَخَاهَا» وَإِنَّمَا كَانَ أَيْضاً لارْتِبَاطِ ٱلأُسَرِ ذَاتِ ٱلْمَكَانَةِ بِنَوْعٍ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ وَإِمْكَانِيَّةِ إِيجَادِ نَوْعٍ مِنَ ٱلْوَشَائِجِ؛ يَجْعَلُهَا تَقِفُ صَفّاً وَاحِداً أَمَامَ أَعْدَائِهَا.

كَانَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ ٱثْنَيْ عَشَرَ بَطْناً، وَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْقَبِيلَةُ كُلُّهَا يَداً وَاحِدَةً أَمَامَ ٱلْقُرَىٰ ٱلأُخْرَىٰ أَوِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلثَّانِيَةِ ٱلَّتِي تُقِيمُ خَارِجَ حَرَمِهَا إِلاَّ أَنَّ بُطُونَهَا كَثِيراً ما كَانَتْ تَتَنَافَرُ وَتَخْتَلِفُ، وَتَتَبَايَنُ آرَاؤُهَا وَتَنْقَسِمُ، وَقَدْ يُؤَدّي هٰذَا إِلَىٰ ٱلْعَدَاوَةِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَتَكُونُ ٱلْغَلَبَةُ بِلاَ شَكٍّ لأَكْثَرِهَا عَدَداً أَوْ أَكْبَرِهَا حِلْفاً[1]، أَوْ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلَّتِي لَهَا بَيْنَ ٱلْبُطُونِ ٱلأُخْرىٰ قَرَابَاتٌ تَجْعَلُهَا تَقِفُ إِلَىٰ جَانِبِهَا أَوْ تُدَافِعُ عَنْهَا، أَو يُخَذِّلُ بَعْضَ ٱلأَحْلاَفِ عَنْهَا فَيَكُونُ لَهَا ٱلْمَوْقِفُ ٱلَّذِي تُحْسَدُ عَلَيْهِ.

وَنَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ مُنْذُ أَوَّلِ عَهْدِهَا كَيْفَ كَانَ لِدَوْرِ ٱلْقَرَابَةِ أَثَرٌ لاَ يُنْكَرُ، وَلِدَوْرِ ٱلصِّلاَتِ أَهَمِّيَّةٌ لاَ يُمْكِنُ إِغْفَالُهَا، سَوَاءً أَكَانَ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْ هٰذا ٱلدِّينِ

(١) الحِلْفُ: المعاهدة على التعاضد والتساعد.

ٱلْجَدِيدِ أَمْ فِي ٱعْتِنَاقِ وَحِمَايَةِ بَعْضِ أَفْرَادِهِ، وَيَبْدُو هٰذا بِشَكْلٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ فِي إِسْلَامِ حَمْزَةَ[١] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَحِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَإِجَارَةِ ٱلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ[٢] لَهُ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ ٱلطَّائِفِ، وَأَمْرِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلْمَخْزُومِيِّ[٣] فِي نَقْضِ صَحِيفَةِ ٱلْمُقَاطَعَةِ، وَمَدِّ يَدِ ٱلْعَوْنِ

(١) كان أبو جهل قد اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، فأقبل نحو أبي جهل حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة، وقامت رجال من بني مخزوم قبيلة أبي جهل لينصروا صاحبهم من حمزة وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله وان الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. وكان هذا سبب اسلام حمزة رضي الله عنه.

(٢) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، ولما انصرف رسول الله ﷺ عن أهل الطائف وعاد متجهاً إلى مكة، نزل بقرب ـ حراء ـ فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه في دخول مكة فامتنعوا، فبعث إلى المطعم بن عدي بذلك، فتسلح المطعم وأهل بيته وخرج بهم حتى أتوا المسجد، فأرسل من يدعو النبي ﷺ للدخول، فدخل مكة وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله آمناً. وهو الذي أجار سعد بن عبادة، وقد دخل مكة معتمراً، وتعلقت به قريش، فأجاره مطعم، وأطلقه، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وعمي في كبره ومات قبل معركة بدر، وهو على دين آبائه.

(٣) زهير بن أبي أمية المخزومي: ابن عمة رسول الله ﷺ عاتكة، وأخو أم سلمة زوج رسول الله. اشترك مع المطعم ابن عدي وهشام بن عمرو في تمزيق ـــ

إِلَىٰ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَقَدْ قَاطَعَتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ، وَٱبْتَعَدَ عَنْهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَتِهِمْ.

كَانَ مِنْ أَشْهَرِ بُطُونِ قُرَيْشٍ وَفِي مَرْكَزِ ٱلذُّؤَابَةِ فِيها بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَإِنْ كَانَ قَدِ ٱنْقَسَمَ هٰذا ٱلْفَرْعُ إِلىٰ هَاشِمِيِّينَ وَأُمَوِيِّينَ إِلاَّ أَنَّهُ يُعَدُّ فَرْعاً وَاحِداً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِمَّا كَانَ مِنْ تَسَابُقٍ عَلَىٰ ٱلزَّعَامَةِ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْفَخْذَيْنِ.

كَانَ بَنُو هَاشِمٍ فِي مَرْكَزِ ٱلصَّدَارَةِ بَيْنَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ مَرْكَزاً عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، وَقَدْ جَمَعَ عِدَّةَ نِسَاءٍ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَبِخَاصَّةٍ تِلْكَ ٱلَّتِي لَهَا شُهْرَتُهَا وَلَهَا وَزْنُهَا وَقِيمَتُهَا، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ جَدَّةُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وُلِدَ لَهُ مِنْهَا عَبْدُ مَنَافٍ (أَبُو طَالِبٍ) وَٱلزُّبَيْرُ وَعَبْدُ ٱللهِ وَبَنَاتُهُ كُلُّهُنَّ بِٱسْتِثْنَاءِ صَفِيَّةَ، وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ ثَانِيَةٌ هِيَ هَالَةُ بِنْتُ أُهَيْبٍ ٱلزُّهْرِيَّةُ بِنْتُ عَمِّ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ

الصحيفة، اذ خاطب أهل مكة قائلاً: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة وايده زمعة بن الاسود وأبو البختري بن هشام بن عمرو والمطعم بن عدي ثم قام الاخير إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد اكلتها إلا باسمك اللهم.

أُمِّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا حَمْزَةُ وَصَفِيَّةُ... إِضَافَةً إِلَىٰ نِسَاءٍ أُخْرَيَاتٍ، كُلُّهُنَّ مِنْ أُسَرٍ مَرْمُوقَةٍ وَفُرُوعٍ مَعْرُوفَةٍ، فَكَانَ عَدَدُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةً، وَلَهُ مِنَ ٱلْبَنَاتِ سِتٌّ، وَكَذا ٱخْتَارَ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ لِأَبْنَائِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ، وَفِي ٱلْوَقْتِ ذَاتِهِ فَقَدْ كَانَتْ بَنَاتُهُ تَحْتَ أَبْنَاءِ سَادَةِ قُرَيْشٍ. وَلِهٰذَا كُلِّهِ فَقَدْ زَادَ مَرْكَزُهُ بَيْنَ أَفْرَادِ قُرَيْشٍ عَامَّةً.

كَانَتْ بَنَاتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ نِسَاءً ذَوَاتِ وَلَدٍ وَوُدٍّ، أَنْجَبْنَ ٱلْكَثِيرَ، وَطَمِعَ فِي زَوَاجِهِنَّ ٱلْكَثِيرُ، تَزَوَّجَتْ إِحْدَاهُنَّ، وَهِيَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَحَدَ ٱلْعَامِرِيِّينَ ٱلْمَشْهُورِينَ سَبْرَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْجَبَتْ غُلَاماً عُرِفَ بِٱسْمِ رُهْمٍ. تَرَعْرَعَ هٰذَا الغُلَامُ عَلَىٰ ٱلتَّرَفِ وَٱلنَّعِيمِ حَتَّىٰ عُرِفَ أَبُوهُ بِهِ لِشِدَّةِ ٱلْوَلَعِ بِهِ، فَلَمْ يُعْرَفِ ٱلأَبُ إِلاَّ بِٱسْمِ ٱبْنِهِ فَيُقَالُ أَبُو رُهْمٍ، وَكَذَا لَمْ يُعْرَفِ ٱلإِبْنُ إِلاَّ بِكُنْيَتِهِ فَيُقَالُ: أَبو سَبْرَةَ. وَٱلْكُنْيَةُ دَلِيلُ ٱلاِحْتِرَامِ وَٱلْحُبِّ. وَتَكْنِيّ ٱلْعَرَبُ عَادَةً ٱلأَبْنَاءَ بِآبائِهِمْ وَبِخَاصَّةٍ ٱلْوَلَدَ ٱلأَكْبَرَ، وإِذا فُقِدَ ٱلأَبُ، وَٱرْتَحَلَ عَنِ ٱلأُسْرَةِ إِلَىٰ ٱلْحَيَاةِ ٱلآخِرَةِ، بَقِيَ ٱسْمُهُ مَذْكُوراً.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ بَرَّةَ مَعَ سَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ إِذْ تُوفِّيَ عَنْهَا، إِلاَّ أَنَّ بَنَاتِ ٱلزُّعَمَاءِ قَلَّمَا يَقْعُدْنَ بِلاَ زَوَاجٍ، وَإِنْ تَقَدَّمَتْ

بِهِنَّ ٱلسِّنُّ أَوْ كَثُرَ لَهُنَّ ٱلْوَلَدُ. إِذْ غَالِباً مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِنَّ ٱلأَشْرَافُ، يَطْلُبُونَ ٱلزَّوَاجَ مِنْهُنَّ لِصِلَةِ ٱلنَّسَبِ وَرَبْطِ ٱلأُسَرِ وَإِنْجَابِ ٱلْوَلَدِ وَبِخَاصَّةٍ فِي ٱلْبِيئَةِ ٱلْقَبَلِيَّةِ ٱلَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَىٰ كَثْرَةِ ٱلْوَلَدِ وَقِيَامِ ٱلأَحْلاَفِ وَٱلْخُصُومَاتِ ٱلدَّائِمَةِ.

تَقَدَّمَ إِلَىٰ بَرَّةَ بِنْتِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَحَدُ ٱلْمَخْزُومِيِّينَ ٱلْمَشْهُورِينَ وَهُوَ عَبْدُ ٱلأَسَدِ بْنُ هِلاَلٍ ٱلْمَخْزُومِيُّ، وَوَافَقَ أَبُوهَا عَلَىٰ ٱلزَّوَاجِ، وَٱنْتَقَلَتْ بَرَّةُ مِنْ بَيْتِ عَامِرِيٍّ عُرِفَ بِٱلصَّدَارَةِ إِلَىٰ بَيْتِ مَخْزُومِيٍّ لاَ يَقِلُّ عَنِ ٱلأَوَّلِ وَجَاهَةً، وَلَمْ تَلْبَثْ بَرَّةُ أَنْ أَنْجَبَتْ مِنْ عَبْدِ ٱلأَسَدِ وَلَداً عُرِفَ بِٱسْمِ عَبْدِ ٱللهِ وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ ٱلَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ـ فِي بَحْثٍ خَاصٍّ.

عَاشَ أَبُو سَبْرَةَ بَيْنَ ٱلْعَامِرِيِّينَ يَتِيماً وَلٰكِنَّهُ مَوْضِعُ ٱلاِحْتِرَامِ وَٱلتَّقْدِيرِ مِنْ كُلِّ أَفْرَادِ ٱلْقَبِيلَةِ، فَمَا كَادَ يَبْلُغُ سِنَّ ٱلشَّبَابِ حَتَّىٰ ٱخْتِيرَتْ لَهُ إِحْدَىٰ فَتَيَاتِ بَنِي عَامِرٍ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ وَهِيَ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَدْ عُرِفَتْ هِيَ بِجَمَالِهَا وَعُرِفَ أَبُوهَا بِوَجَاهَتِهِ وَتَمَّ ٱلزَّوَاجُ، وَعَاشَ كِلاَ ٱلْعَرُوسَيْنِ حَيَاةً هَنِيئَةً لاَ يُعَكِّرُ صَفْوَهَا مُعَكِّرٌ بَيْنَ أَحْضَانِ بَنِي عَامِرٍ.

لَمْ تَطُلِ ٱلأَيَّامُ بِأَبِي سَبْرَةَ حَتَّىٰ ٱنْطَلَقَتِ ٱلدَّعْوَةُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ

عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ (ٱبْنِ خَالِهِ) وَرَنَّتْ أَصْدَاؤُهَا فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ حَدِيثَ ٱلْقَوْمِ فِي كُلِّ نَادٍ. وَبَدَأَتْ أَشِعَّةُ ٱلنُّورِ تَصِلُ إِلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْعُقُولِ. وَإِذَا كَانَتْ قَدْ أَغْشَتْ بِقُوَّتِهَا أَعْيُنَ بَعْضِ ٱلْكُبَرَاءِ، فَأَعْمَتْهُمْ زَعَامَتُهُمْ عَنْ أَنْ يَرَوُا ٱلنُّورَ، فَبَقُوا عَلَىٰ ٱلشِّرْكِ وَٱلْوَثَنِيَّةِ، إِلاَّ أَنَّ ٱلأَبْنَاءَ قَدْ أَسْرَعُوا فِي تَلْبِيَةِ ٱلدَّعْوَةِ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وُضُوحُهَا وَرَجَاحَةُ عَقْلِهِم وَعَدَمُ ٱلْغَطْرَسَةِ، إِذْ لَمْ يَعُدْ يَعْنِيهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِٱللهِ ذَلِكَ ٱلْمَرْكَزُ ٱلَّذِي خَشِيَ آبَاؤُهُمْ ٱلْجَاهِلِيُّونَ ضَيَاعَهُ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي طَلِيعَةِ هٰؤُلاَءِ ٱلشُّبَّانِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَزَادَتْ رَوَابِطُ ٱلْقَرَابَةِ مَتَانَةً وَأَوَاصِرُ ٱلْمَحَبَّةِ قُوَّةً، بَلْ إِنَّ رَابِطَةَ ٱلْعَقِيدَةِ لاَ تَعْدِلُهَا رَابِطَةٌ، وَلاَ تُسَاوِيهَا صِلَةٌ، وَلاَ يُكَافِئُهَا لِقَاءٌ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَائِدَ أَبِي سَبْرَةَ وَزَعِيمَهُ وَسَيِّدَهُ وَحَبِيبَهُ وَفَوْقَ ذٰلِكَ كُلِّهِ رَسُولَهُ ٱلأَمِينَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ لِهِدَايَةِ ٱلْبَشَرِ أَجْمَعِينَ. وَأَسْلَمَتْ مَعَ أَبِي سَبْرَةَ زَوْجُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو[1]، وَلَمْ يُخِفْهَا مَا عُرِفَ عَنْ أَبِيهَا مِنْ عِدَاءٍ

---

(١) أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو: وامها فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف وقد ولدت لأبي سبرة محمداً وعبد الله.

لِلْإِسْلَامِ وَوُقُوفِهِ ضِدَّهُ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وَنَادٍ[1]، بَلْ لَمْ تَكُنْ هِيَ ٱلْمُؤْمِنَةَ ٱلْوَحِيدَةَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْبَيْتِ فَأُخْتُهَا سُهَيْلَةُ[2] زَوْجُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ[3] كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِضَافَةً إِلَىٰ ٱلرِّجَالِ فَأَخُوهَا عَبْدُ ٱللهِ[4] وَأَعْمَامُهَا حَاطِبٌ[5] وَسَلِيطٌ[6]

---

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي، العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتدى، وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية من جانب المشركين، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة فأسلم، وسكنها ثم سكن المدينة، واشترك في الفتوح، وكان من قادة اليرموك، وتوفي بالطاعون في الشام عام ١٨ للهجرة، ويقال انه استشهد يوم اليرموك.

(٢) سهيلة بنت سهيل بن عمرو: وامها فاطمة بنت عبد العزى ابن أبي قيس من رهط زوجها سهيل بن عمرو.

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: صحابي هاجر إلى الحبشة مع زوجته سهيلة ثم إلى المدينة. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم اليمامة عام ١٢ هـ وكان اسمه هشيم وقيل هاشم، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة.

(٤) عبد الله بن سهيل بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وبعد عودته من هجرته عاش مستضعفاً في مكة إذ لم يستطع الهجرة إلى المدينة، فلما كانت بدر خرج مع أهل مكة ثم فر إلى المسلمين فشهدها معهم واستشهد يوم اليمامة ١٢ هـ.

(٥) حاطب بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وشهد بدراً، وقيل أنه آخر من خرج من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب أي لم يشهد بدراً. كما قالوا: أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

(٦) سليط بن عمرو: أول من هاجر إلى الحبشة، واستشهد يوم اليمامة.

وَٱلسَّكْرَانُ[1] كُلُّهُمْ كَانُوا قَدْ دَانُوا بِٱلإِسْلاَمِ وَٱعْتَنَقُوهُ.

وَٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلطَّلِيعَةِ ٱلْمُؤْمِنَةِ وَتَحَمَّلَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ما تَحَمَّلَ مِنْ عَذَابٍ مَادِّيٍّ وَحَرْبٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَلَمْ يُرَ إِلاَّ صَابِراً صَامِتاً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا لَقِيَ.

فلمَّا رَأَى رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ ٱلْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنَ ٱللهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ ٱللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

فَخَرَجَ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، مَخَافَةً مِنَ ٱلْفِتْنَةِ وَفِرَاراً إِلَىٰ اللهِ بِدِينِهِم، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَتِهِ فِي ٱلإِسْلاَمِ، وَلَعَلَّ هٰذَا إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ ٱلدُّعَاةَ يَجِبُ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَىٰ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ ٱلْمُنَاخَ

---

(١) السكران بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع زوجته سودة بنت زمعة ابنة عمه وبعد عودته من هجرته إلى مكة بشهر توفي وذلك قبل هجرة المسلمين إلى المدينة. وقد تزوج رسول الله ﷺ بزوجه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

ٱلْمُلاَئِمَ لِلدَّعْوَةِ مَهْمَا بَعُدَ هٰذَا ٱلْمَكَانُ، أَوِ ٱخْتَلَفَتْ هُوِيَّةُ أَبْنَائِهِ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَيْنَ هٰؤُلاَءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ مُطِيعاً مُنَفِّذاً إِشَارَةَ نَبِيِّهِ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ.

لَمْ يَطُلْ مُكْثُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحَبَشَةِ إِذْ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خُرُوجِهِمْ رَجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ حَيْثُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمُ ٱلإِقَامَةُ هُنَاكَ؛ لأَنَّهُمْ قَلِيلُو ٱلْعَدَدِ - وَفِي ٱلْكَثْرَةِ بَعْضُ ٱلأُنْسِ - وَأَضِفْ إِلَىٰ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، وَمَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَهٰؤُلاءِ لاَ يَطِيبُ لَهُمْ عَيْشٌ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِهٰذِهِ ٱلْحَالَةِ[1].

وَعِنْدَمَا رَجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ أَشَدَّ غُرْبَةً مِمَّا كَانُوا فِي أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، وَرَأَوا ٱلأَذَىٰ يَحِيقُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَقُرَيْشٌ قَدْ قَرَّرَتْ مُقَاطَعَةَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَٱلتَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ؛ فَلاَ يَبِيعُونَهُمْ شَيْئاً، وَلاَ يَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا مُحَمَّداً - ﷺ - لِلْقَتْلِ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً، وَضَعُوهَا فِي جَوْفِ ٱلْكَعْبَةِ، فَانْحَازَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ بَنُو

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص ٥٨.

هَاشِمٍ إِلَىٰ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ بَنُو ٱلْمُطَّلِبِ سَوَاءٌ فِي ذٰلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، مَا عَدَا أَبَا لَهَبٍ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ قُرَيْشٍ، وَٱنْخَذَلَ عَنْهُمْ بَنُو عَمَّيْهِمِ عَبْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلٍ ٱبْنَيْ عَبْدِ مَنَافٍ، فَجَهَدَ ٱلْقَوْمُ حَتَّىٰ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَرَقَ ٱلشَّجَرِ، وَكَانَ أَعْدَاؤُهُمْ يَمْنَعُونَ ٱلتُّجَّارَ مِنْ مُبَايَعَتِهِمْ، وَفِي مُقَدِّمَةِ ٱلْمَانِعِينَ أَبُو لَهَبٍ.

وَبَعْدَ دُخُولِ ٱلرَّسُولِ وَقَوْمِهِ ٱلشِّعْبَ، أَمَرَ جَمِيعَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ؛ حَتَّىٰ يُسَاعِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَىٰ ٱلاَغْتِرَابِ، فَهَاجَرَ مُعْظَمُهُمْ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَلاثَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلاً وَثَمَانِيَ عَشْرَةَ ٱمْرأَةً، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمَةِ هٰؤُلاَءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ مَعَ زَوْجِهِ أُمِّ كُلْثُومٍ ،بِنْتِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو. إِلاَّ أَنَّ ٱلْغُرْبَةَ أَثَّرَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ أَخَفَّ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلأُولَىٰ لِكَثْرَتِهِمُ ٱلآنَ، وَبَدَأَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمُ ٱلأَخْبَارُ بِقُوَّةِ ٱلإِسْلاَمِ ٱلْجَدِيدَةِ بَعْدَ إِسْلاَمِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ وَنَقْضِ ٱلصَّحِيفَةِ وَخُرُوجِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلشِّعْبِ، فَبَدَأُوا يَعُودُونَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلَّذِينَ عَادُوا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ دُخُولَ مَكَّةَ إِلاَّ مُسْتَخْفِياً أَوْ فِي جِوَارِ أَحَدٍ، وَكَانَ عَدَدُ ٱلَّذِينَ عَادُوا مِنَ

ٱلْحَبَشَةِ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ رَجُلاً .

مَكَثَ أَبُو سَبْرَةَ في مَكَّةَ يَتَحَمَّلُ ٱلضَّنْكَ وَٱلأَذىٰ ، وَكَانَ ٱلإِسْلاَمُ قَدْ ظَهَرَ في ٱلْمَدِينَةِ ، وَبَدَأَ يَنْتَشِرُ بَيْنَ أَهْلِهَا ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةُ قَدْ تَمَّتْ بَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَبَيْنَ ٱلأَنْصَارِ. فَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ، وَسَارَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُهاجِراً فِرَاراً بِدِينِهِ ، وَقَدِ ٱعْتَادَ ذٰلِكَ ، فَقَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ هَاجَرَ هِجْرَتَيْنِ ، وَبِٱلْهِجْرَةِ يَتَمَكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ ٱللهِ ٱلَّذِي ٱمْتَزَجَ حُبُّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَقَدْ صَارَ لاَ يَعْبَأُ بِمُفَارَقَةِ ٱلأَهْلِ وَٱلدِّيَارِ ، وَلاَ يَهْتَمُّ بِٱلْعَشِيرَةِ وَٱلأَوْطَانِ .

أُذِنَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ ، وَٱنْتَقَلَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ ؛ بَدَأَ يُؤَاخِي بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ. وَكَانَ أَبو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَسَلَمَةُ بْنُ سَلاَمَةَ ابْنِ وَقَشٍ (١) مِنَ ٱلأَوْسِ أَخَوَيْنِ. وَعَاشَ أَبُو سَبْرَةَ فِي ٱلْمَدِينَةِ صَامِتاً ، إِذَا أَمَرَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلاِلْتِحَاقَ بِغَزْوَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ

---

(١) يقال أن سلمة بن سلامة والزبير بن العوام كانا أخوين. والواقع أن الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود كانا أخوين، ولعل هذا الخلاف لأن الزبير وأبا سبرة كانا ينزلان معاً على منذر بن محمد بن عقبة.

سَارَ طَائِعاً. وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ وَٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ يَنْزِلانِ عَلَىٰ مُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أُحَيْحَةَ.

أُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِٱلْقِتَالِ «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا. وَإِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللهُ»[1] وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَعْتَرِضُونَ قَافِلَةَ قُرَيْشٍ إِلاَّ أَنَّ ٱللهَ أَرَادَ لَهُمْ ذَاتَ ٱلشَّوْكَةِ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي عِدَادِ جُنْدِ ٱللهِ، وَقَدْ أَبْلَىٰ بَلاَءً حَسَناً، كَمَا أَبْلَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَعْرَكَةُ فُرْقَاناً بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ.

وَشَهِدَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱلْمَشَاهِدَ جَمِيعَهَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، لَمْ يَتَوَانَ فِي غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يُرَىٰ فِي كُلٍّ مِنْهَا هَادِئاً، فَإِذَا جَدَّ ٱلْجِدُّ، وَٱحْتَدَمَ ٱلْقِتَالُ؛ كَانَ أَسَداً هَصُوراً، يَتَقَدَّمُ نَحْوَ ٱلْعَدُوِّ، لاَ يَثْنِيهِ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ يَفُلَّ سَيْفَهُ أَوْ يَفُلَّ خَصْمَهُ، وَإِذَا ٱنْتَهَىٰ ٱلْقِتَالُ عَادَ إِلَيْهِ هُدُوءُهُ.

أَعَدَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَعْثَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مُفَارَقَتِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ هٰذَا

---

(١) الحج الآية ٤٠.

ٱلْبَعْثِ مَعَ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ ٱلْجَيْشَ قَدْ تَوَقَّفَ بِسَبَبِ وَفَاةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ ٱلْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنْ سَيَّرَ هٰذَا ٱلْجَيْشَ بَعْدَ وَفَاةِ ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ؛ إِذْ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَحُلَّ لِوَاءً جَهَّزَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ. وَٱنْتَقَضَتِ ٱلْجَزِيرَةُ بَعْدَ ٱنْتِقَالِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ حُكْمِ ٱلْمَدِينَةِ، وَجَرَّدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِقِتَالِ ٱلْمُرْتَدِّينَ، وَلَبَّىٰ أَبُو سَبْرَةَ ٱلدَّعْوَةَ، وَٱشْتَرَكَ فِي هٰذَا ٱلْقِتَالِ حَتَّىٰ دَانَتِ ٱلْجَزِيرَةُ مَرَّةً أُخْرَىٰ لِلْحُكْمِ ٱلْإِسْلَامِي.

تَحَرَّكَ ٱلْجَيْشُ ٱلْإِسْلَامِيُّ نَحْوَ ٱلْعِرَاقِ يَنْشُرُ ٱلدِّينَ، وَيَدُكُّ أَرْكَانَ ٱلظُّلْمِ، وَيُقَاتِلُ ٱلطُّغَاةَ فِي كُلِّ أَرْضٍ، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَةُ مَيْدَانَ جِهَادِ أَبِي سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، يُجَاهِدُ جُنْدِيّاً مَجْهُولاً تَحْتَ رَايَةِ كُلِّ قَائِدٍ، لاَ هَمَّ لَهُ سِوَىٰ نَشْرِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلَّذِي قَضَىٰ أَكْثَرَ حَيَاتِهِ فِي ٱلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ فُتِحَ جَنُوبِيُّ ٱلْعِرَاقِ عَلَىٰ يَدِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ ٱلْأَمْرُ بِٱلِٱنْتِقَالِ إِلَىٰ ٱلشَّامِ بِقِسْمٍ مِنْ جُنْدِهِ لِمُسَاعَدَةِ ٱلْجُيُوشِ فِيهَا. ٱنْتَقَلَ خَالِدٌ إِلَىٰ ٱلشَّامِ وَأَبْقَىٰ قِسْماً مِنْ جُنْدِهِ فِي ٱلْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِمُ ٱلْمُثَنَّىٰ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ مَعَ ٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلَّذِينَ بَقُوا فِي ٱلْعِرَاقِ.

سَافَرَ ٱلْمُثَنَّىٰ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ يَطْلُبُ ٱلْمَدَدَ، وَتُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَقَامَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِٱلأَمْرِ، وَعَمِلَ بِوَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ، فَدَعَا إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ، وَطَلَبَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ[1] إِعَادَةَ جُنْدِ خَالِدٍ إِلَىٰ ٱلْعِرَاقِ. وَجَعَلَ عُمَرُ أَبَا عُبَيْدٍ[2] عَلَىٰ رَأْسِ ٱلْجَيْشِ ٱلْمُتَّجِهِ نَحْوَ ٱلْعِرَاقِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ ٱلْجِسْرِ ٱلَّتِي ٱسْتَشْهَدَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ وَعَدَدٌ مِنْ ٱلْقَادَةِ، وَرَجَعَتِ ٱلإِمْرَةُ إِلَىٰ ٱلْمُثَنَّىٰ[3] وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْبُوَيْبِ[4] ٱلَّتِي ٱنْتَصَرَ فِيهَا ٱلْمُسْلِمُونَ.

---

(١) أصبح أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد جند الشام بعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة.

(٢) أبو عبيد بن مسعود الثقفي، قائد أول جيش سيّره عمر بن الخطاب، وكان عمر لا يسلم القيادة إلا إلى الصحابة ولم يكن أبو عبيد صحابياً ولكنه أعطاه القيادة بصفته أول من لبى داعي الجهاد، وقد استشهد في معركة الجسر عام ١٣ هـ، وهو والد المختار الثقفي.

(٣) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي، فاتح، أسلم سنة تسع، وقدم على أبي بكر فأمره على قومه وأمده بخالد بن الوليد، وأمده عمر بأبي عبيد وقد جرح في معركة الجسر، ثم عوفي، ثم أمده بسعد بن أبي وقاص، وانتقضت عليه جراحته فمات قبل وصول سعد إليه وذلك عام ١٤ هـ.

(٤) البويب: مكان قرب الكوفة جرت فيه معركة عظيمة، انتصر فيها المسلمون الذين كان يقودهم المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجلي الذي جاء مدداً للمثنى وذلك عام ١٣ هـ.

بَعَثَ ٱلْخَلِيفَةُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً عَلَىٰ ٱلْعِرَاقِ وَمَعَهُ سِتَّةُ آلاَفِ رَجُلٍ، وَحَدَثَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْقَادِسِيَّةِ ٱلَّتِي ٱنْتَصَرَ فِيهَا ٱلْمُسْلِمُونَ نَصْراً مُؤَزَّراً، وَعَادَتِ ٱلْعِرَاقُ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ، وَكَانَتْ قَدْ نَقَضَتِ ٱلْعَهْدَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلأُولَىٰ.

أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّاب إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَبْعَثَ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ[1] إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْبَصْرَةِ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ آنَذَاكَ بِٱسْمِ أَرْضِ ٱلْهِنْدِ. فَسَارَ عُتْبَةُ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْجِهَاتِ وَفَتَحَ ٱلأُبُلَّةَ[2] وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ جَيْشِ عُتْبَةَ.

لَقَدْ آنَ لأَبِي سَبْرَةَ أَنْ يُعْرَفَ، وَقَدْ حَاوَلَ أَلاَّ يَظْهَرَ فِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ ٱلطَّوِيلَةِ كُلِّهَا وَفِي ٱلْغَزَوَاتِ ٱلَّتِي خَاضَهَا جَمِيعِهَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَجْهُولاً يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ لاَ

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله: باني مدينة البصرة صحابي، من أوائل الذين اسلموا. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، مات وهو في الطريق إلى المدينة عام ١٧ هـ، ويعد من الرماة المعدودين، وكان طويلاً جميلاً، وقد روى أربعة أحاديث عن النبي ﷺ.

(٢) الابلة: موقع البصرة الحالي، إذ أن البصرة قد اختطها عتبة عام ١٦ هـ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ، وَلاَ أَنْ يُذْكَرَ ٱسْمُهُ إِلاَّ أَنَّ ٱلأَيَّامَ قَدْ كَشَفَتْهُ، وَٱلْمَعَارِكَ ٱلَّتِي جَدَّتْ قَدْ تَطَلَّبَتْ أَنْ يَكُونَ ٱلْقَائِدَ لَهَا، وَٱلْجُنْدَ ٱلَّذِينَ عَرَفُوهُ فِي قِتَالِهِ قَدْ رَغِبُوا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مُقَدِّمَتِهِمْ، وَٱلأَبْطَالَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَكُوا مَعَهُ فِي ٱلْحُرُوبِ قَدْ قَدَّمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لِمَا رَأَوْا مِنْهُ.

غَزَا ٱلْعَلاَءُ ٱلْحَضْرَمِيُّ[1] وَالِي ٱلْبَحْرَيْنِ فَارِسَ إِلاَّ أَنَّ جَيْشَهُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ ٱلْفُرْسُ وَأَصْبَحَ مُهَدَّداً بِٱلْفَنَاءِ، فَكَتَبَ عُمَرُ ابْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُرْسِلَ جَيْشاً كَثِيفاً إِلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي فَارِسَ قَبْلَ أَنْ يَهْلَكُوا، فَأَرْسَلَ عُتْبَةُ هٰذَا ٱلْجَيْشَ، وَفِيهِ كِبَارُ ٱلْقَادَةِ، وَكَانَ تَعْدَادُهُ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً، وَعَلَيْهِ أَبُو سَبْرَةَ قَائِداً. فَٱسْتَطَاعَ هٰذَا ٱلْقَائِدُ ٱلْجَدِيدُ وَٱلصَّحَابِيُّ ٱلشَّيْخُ أَنْ يُنْقِذَ ٱلْجَيْشَ ٱلإِسْلاَمِيَّ وَأَنْ يَنْتَصِرَ عَلَىٰ ٱلْفُرْسِ، ثُمَّ عَادَ بِجَيْشِهِ إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ وَقَدْ حَقَّقَ ما طُلِبَ مِنْهُ.

ٱسْتَأْذَنَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَٱسْتَخْلَفَ عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ أَبَا سَبْرَةَ. وَلَكِنَّ عُتْبَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ

---

(١) العلاء الحضرمي: صحابي أصله من حضرموت سكن أبوه مكة فولد فيها، ولاه رسول الله البحرين وبقي عليها حتى مات عام ١٢ هـ.

تُوُفِّيَ، فَأَقَرَّ عُمَرُ أَبَا سَبْرَةَ وَالِياً عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ. وَلٰكِنَّ أَبَا سَبْرَةَ كَانَتْ نَفْسُهُ تَحِنُّ إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ وَمُصَارَعَةِ ٱلأَعْدَاءِ، وَتَطْلُبُ ٱلشَّهَادَةَ، وَتَرَىٰ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلإِدَارِيِّ مَا تَرَاهُ... فَطَلَبَ مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ أَنْ يُعْطِيهِ ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي فِيهِ مَجَالُ عَمَلِهِ؛ أَلا وَهُوَ ٱلْقِتَالُ. وَٱسْتَجَابَ ٱلْخَلِيفَةُ لِطَلَبِهِ، فَٱسْتَعْمَلَ ٱلْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[1] عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ، وَٱلْتَحَقَ أَبُو سَبْرَةَ بِٱلْجَيْشِ، يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ.

وَبَلَغَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ٱتِّفَاقُ أَهْلِ ٱلأَهْوَازِ[2] وَفَارِسَ[3] بِقِيَادَةِ ٱلْهُرْمُزَانِ[4] عَلَىٰ قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَكَتَبَ إِلَىٰ سَعْدٍ أَمِيرِ ٱلْكُوفَةِ يَأْمُرُهُ بِتَسْيِيرِ جَيْشٍ مِنَ ٱلْكُوفَةِ

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي: ولد في الطائف. اسلم عام ٥ للهجرة شهد بعدها الفتوح وفقد عينه في معركة اليرموك، ولي البصرة والكوفة، ومات وهو على الكوفة لمعاوية ابن أبي سفيان عام ٥٠ هـ.

(٢) الأهواز: المنطقة السهلية التي تقع شرقي نهر دجلة وشط العرب وهي ضمن حدود ايران اليوم وتعرف باسم (عربستان) الآن، على حين يسميها الفرس (خوزستان).

(٣) فارس الجزء الجنوبي من إيران بين الأهواز في الشمال الغربي ومكران في الجنوب الشرقي، ومن مدنها شيراز.

(٤) الهرمزان: من الذين دافعوا عن الدولة الفارسية في الأهواز، ونقض الصلح، مما جعل المسلمين يحملونه أسيراً إلى المدينة، وقد أتهم بالاشتراك في قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي لؤلؤة.

وَٱلْبَصْـرَةِ بِقِيَـادَةِ أَبِـي سَبْـرَةَ. كَمَـا أَمَـدَّهُ بِـأَبِـي مُـوسَـىٰ ٱلأَشْعَرِيِّ[١]، فَٱسْتَطَاعَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي هٰذَا ٱلْجَيْشِ فَتْحَ مَدِينَةِ (تُسْتُرَ)[٢] وَأَسْرَ ٱلْهُرْمُزَان، فَأَرْسَلَهُ أَبُو سَبْرَةَ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ مُوثَقاً مَعَ وَفْدٍ فِيهِمُ ٱلأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ[٣] وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ[٤]. ثُمَّ ٱسْتَطَاعَ أَبُو سَبْرَةَ مُلاَحَقَةَ ٱلْفُرْسِ وَفَتْحَ مَدِينَةِ (ٱلسُّوسِ)[٥] وَذٰلِكَ عَامَ ١٧ هـ ثُمَّ قَصَدَ أَبُو سَبْرَةَ مَدِينَةَ (جُنْدَ يْسَابُورَ)[٦] فَفَتَحَتْ لَهُ ٱلْمَدِينَةُ أَبْـوَابَهَـا وَقَـدْ قَبِلَـتِ ٱلْجِزْيَةَ... وَفِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ ٱلنُّعْمَانِ

---

(١) أبو موسى الأشعري: ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الاسلام فأسلم، وهاجر إلى الحبشة ولاه الرسول على زبيد وعدن، وتولى أمر البصرة أيام عمر ثم تولى أمر الكوفة، وبقي فيها حتى توفي عام ٤٤ هـ.

(٢) تستر: مدينة في شمال الأهواز، تقع على بعد ٩٥ كم من مدينة (الأهواز) وتعرف اليوم باسم (ششتر).

(٣) الأحنف بن قيس: سيد تميم أدرك النبي ﷺ ولم يره، أحد الشجعان الفاتحين، توفي في الكوفة عند مصعب ابن الزبير عام ٧٢ هـ.

(٤) أنس بن مالك: صاحب الرسول وخادمه، أسلم صغيراً، توفي بالبصرة عام ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة فيها.

(٥) السوس مدينة في الأهواز غربي (تستر) إلى الشمال قليلاً تعرف اليوم باسم (شوش).

(٦) جند يسابور: مدينة قديمة تقع بين مدينتي (الأهواز) و (تستر) في منتصف الطريق بينهما، وهي غير معروفة الآن.

ابْنِ ٱلْمُقَرِّنِ ٱلْمُزَنِيِّ[1] يَدْخُلُونَ (نَهَاوَنْدَ).

شَعَرَ أَبُو سَبْرَةَ بِٱلتَّعَبِ بَعْدَ فَتْحِ جُنْدَ يْسَابُورَ، وَرَأَىٰ أَنَّ جِسْمَهُ لَمْ يَعُدْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ ٱلْقِتَالِ فَعَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ - بِإِذْنِ ٱلْخَلِيفَةِ - يُقِيمُ فِيهَا، وَكَانَ قَدْ غَادَرَهَا مُنْذُ عَهْدٍ طَوِيلٍ يَزِيدُ عَلَىٰ عِشْرِينَ سَنَةً قَضَاهَا مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَعَاشَ بَعْدَهَا ما يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً تُوُفِّيَ بَعْدَهَا عَامَ ٣٥ هـ. فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

ٱنْتَقَلَ إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهِ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ، وَكَمْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَلْقَىٰ ٱلشَّهَادَةَ فَقَدْ طَلَبَهَا فِي ٱلْمَعَارِكِ ٱلَّتِي خَاضَهَا كُلِّهَا وَمَا أَكْثَرَهَا وَلٰكِنَّ ٱللهَ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ.. وَهٰكَذَا ٱنْتَهَتْ حَيَاةُ ٱبْنِ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ وَٱلْمُجَاهِدِ ٱلْبَطَلِ وَٱلْقَائِدِ ٱلْفَذِّ وَٱلْفَاتِحِ ٱلْكَبِيرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) النعمان بن المقرن: أسلم في السنة الخامسة، له عشر أخوة لهم كلهم شرف الصحبة والجهاد والفتح، استشهد في نهاوند عام ٢١ هـ.